الافتتـــاحـــيـــــــة

بقلم رئيس التحرير
أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

قضية للبحث العلمي الجاد
التنازع على اختراع الطباعة بالحروف المتحركة
بين لورنزو كوستر الهولندي ويوحنا جوتنبرج الالماني

يصادف الداخل إلى مدينة هارلم الهولندية تمثالاً بالحجم الطبيعي للهولندي لورنزو كوستر الذي يؤكد الهولنديون انه المخترع الاول للطباعة بالحروف المتحركة، كما يصادف الداخل إلى مدينة ماينز متحف الطباعة والتمثال النصفي لمن شاع أنه مخترع الطباعة بالحروف المتحركة وهو الألماني جوتنبرج. ويروج كل طرف: هولندا وألمانيا لابن بلدها باعتباره المخترع الأول والوحيد للطباعة بالحروف المتحركة. إذن هناك تنازع بين الهولندي لورنزو كوستر والألماني يوحنا جوتنبرج على ذلك الاختراع الذي غيّر وجه العالم والذي اعتبر المحطة الثالثة في ثورة المعلومات، وحيث تمثلت الحلقة الأولى اختراع الكتابة في الألف السادسة قبل الميلاد، بينما تمثلت الحلقة الثانية في صناعة الورق الصيني الذي تسلل إلى العالم وحل محل البردي والرّق كمادة للكتابة مع مطلع القرن الثاني الميلادي، وكانت الطباعة بالحروف المتحركة في القرن الخامس عشر الميلادي هي المحطة الثالثة.

ولقد ساد العالم طوال خمسة قرون أن يوحنا جوتنبرج الألماني هو صاحب هذا الاختراع والذي نقل البشرية - ضمن إرهاصات أخرى- من ظلام العصور الوسطى إلى حافة العصر الحديث. وكان الألمان قد روجوا لذلك الاختراع الذي خرج من مدينة ماينز إلى المدن الألمانية الأخرى ومن ألمانيا إلى دول أوروبا المختلفة بحيث لم تأت نهاية القرن الخامس عشر الميلادي إلا وكانت أوروبا كلها تنعم بهذا الاختراع، بل أن هذا الاختراع عبر الاطلنطي إلى العالم الجديد الذي كان قد اكتشف لتوه. ودخل هذا الاختراع الفذ إلى سائر أنحاء العالم في تواريخ مختلفة. ونحن الآن ننعم بهذا الاختراع الذي نقلنا من ظلام العصور الوسطى إلى نور العصور الحديثة واحدث انقلابات في كل جوانب حياتنا. وفي كل خطوة يخطوها هذا الاختراع وفي كل منطقة يدخل إليها ويغزوها كانت الريادة والقيادة والفضل دائماً للألماني يوحنا جوتنبرج.

ولكن على الجانب الآخر كانت سطور تتناثر بين ثنايا بعض الكتب والدوريات تشي بأن المخترع الأول والأصلي لذلك الاختراع رجل هولندي يدعى لورنزو كوستر، ولكن هذه السطور لم يتوقف أمامها إلا نفر قليل ضاعوا في خضم المؤلفين الذين أرّخوا للطباعة وصاحبها يوحنا جوتنبرج والمطبوعات التي ابدعها الرجل على قلتها.

وبعد خمسة قرون من اختراع الطباعة كانت بعض المكتبات تعيد تجليد بعض كتبها القديمة فوجدت في البطانة بعض ملازم مطبوعة ولكنها يقيناً ليست من نوع الطباعة التي اخترعها جوتنبرج، بل لها طابعها الخاص الذي يرجع إلى زمن سابق على مطبوعات يوحنا؛ وقامت الدنيا لم تقعد وتعمق الباحثون في الببليوجرافيا وتاريخ الطباعة وخرجوا يقيناً بأنها ليست من طباعة جوتنبرج ونسبوها إلى كوستر وأعادوا كتابة تاريخ الطباعة وعقدوا لواءها إلى كوستر وخلصوا إلى أن لورنزو هو صاحب الاختراع وإن كانت طباعته بدائية فجّة، وأن جوتنبرج هو الذي طورها وكمّلها وجمّلها.

ولكن كيف وصل هذا الاختراع إلى يوحنا جوتنبرج وكيف وقع في يده؟!

تذكر المصادر على قلتها وندرتها وربما انحيازها أن جوتنبرج سمع بما وصل إليه كوستر فغادر ألمانيا وذهب ليعمل عند كوستر وفي ليلة رأس السنة سرق الاختراع والحروف والأدوات وطفق عائداً إلى ألمانيا وعمل على تطوير الاختراع وكان يعمل سراً فيما يسمى بالسحر الأسود، حتى ذاع سره ووقع الاختراع وآلاته وحروفه في يد "فوست" و "شوفر" استيفاءً لديون على جوتنبرج. وخرج أول عمل من طباعة جوتنبرج في حدود ١٤٥٥م (الكتاب المقدس ذو الاثنين والاربعين سطراً)، بينما باستخدام كربون ١٤ تأكد سبق مطبوعات كوستر بنحو ربع قرن من الزمان.

لقد سقطت الفترة التي قضاها جوتنبرج في هارلم من سجل حياته، مما يشي بأن القصة حقيقية، ومهما يكن من أمر هذه القضية العلمية الخطيرة، فإننا في حاجة إلى مزيد من البحث والتقصي والتحري حولها وحتى ينسب الفضل لأهله.

رئيس التحرير
أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

الرئيس الفخري للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (أفلي)